مقدمـــــة

جاء كتاب الرئيس الأمريكى الأسبق ريتشارد نيكسون، وهو الكتاب الذى ترجمه إلى العربية الأستاذ أحمد صدقى مراد ، وأصدرته دار الهلال المصرية، جاء هذا الكتاب ليحمل الكثير من الملامح العامة والخاصة لعالم ما بعد انهيار الشيوعية من منظور أمريكى، أو كما يحلم ويريد الأمريكان لأنفسهم ولغيرهم، والكتاب بالطبع وفى المقام الأول موجه للأمريكان على لسان نيكسون حتى ينتهز الأمريكان هذه الفرصة التى انفردوا فيها بالقوة فى العالم، فيعملون على تكريس هذا الواقع وتطويره فى اتجاه المزيد من الهيمنة والسيطرة الأمريكية على العالم ليصبح القرن الواحد والعشرين قرناً أمريكياً، ولذا فإن نيكسون اختار للكتاب عنواناً هو:"Seize the Moment" وترجمتها انتهزوا هذه الفرصة، أو الفرصة السانحـة.

وترجمة الكتاب إلى العربية يحمل فى طياته جانبين اثنين أحدهما نافع والآخر ضار، فأما الجانب النافع فهو أنه أتاح للقارىء العربى والمسلم فرصة لمعرفة الطريقة التى يفكر بها الأمريكيون حالياً تجاه العالم، وماذا يريدون أن يفعلوا بهذا العالم عموماً والعالم الإسلامى خصوصاً، وكذلك الآليات التى سوف يتبعونها فى هذا الصدد، وبديهى أننا نرفض هذه الهيمنة الأمريكية لأننا نعرف أكثر من غيرنا أن الحضارة الغربية عموماً ومرحلتها الأخيرة «الأمريكية» خصوصاً لم ولن تحمل لنا إلا الشر الذى عانينا منه، لم ولن تحمل لنا إلا القهر والنهب والاستبداد، وبالتالى فإن معرفة طريقة تفكير الأمريكيين الآن ضرورية من أجل هذه المواجهة التى تلوح فى الأفق وتبدو حتمية، بل إنها بدأت بالفعل، والأثر الإسلامى يقول من عرف لغة

قوم أمن شرهم، وطبيعي أن كلمة لغة عنا تتضمن طريقة تفكيرهم وخططهم، وبالتالى فإن الترجمة العربية لهذا الكتاب أمر نافع ومحمود ومشكور لأنها تطلعنا على طريقة تفكير الأمريكيين الذين سوف نواجههم فى أكثر من معركة وأكثر من مجال منذ الآن وإلى أمد لا يبدو قصيراً.

على أن للترجمة العربية لهذا الكتاب جانبا آخر ضارا وهو أنه دفاع حميم عن النمط الحضارى الغربى عموماً والأمريكى خصوصاً وتبشير بالقيم الأمريكية المزعومة عن الحرية، وترويج لها مما يعطى الإنطباع بأنه يراد لهذه القيم أن تتسلل إلى وجدان وقناعة القارىء العربى فيتحمس بدوره لها فيكون أمريكياً أكثر من الأمريكان أو فى أقل الأحوال لا يكون معارضاً للمحاولات المستمرة لإخضاعنا لأمريكا، لأنه هنا لن يشعر بأن فى الأمر هيمنة ولا غزواً ثقافياً ولا طريقة للإستلاب بقدر ما هو إيمان بقيم محايدة عن الحرية والسلام والرخاء التى تزعم أمريكا أنها سوف تقدمها للبشرية!

على أنه ورغم هذا التحفظ فإن الترجمة العربية لهذا الكتاب تظل مفيدة أكثر مما هى ضارة، خاصة أن من المفروض أننا نثق فى أنفسنا وفى قيمنا ونعرف من خلال الممارسة مع الغرب كم هذا الغرب منافق وكذاب وأنه يدس لنا السم فى العسل، ويبقى أن ضرورة الإطلاع على طريقة تفكير الغرب عموماً والأمريكيين خصوصاً من خلال ما يكتبه قادتهم ومفكروهم أمر طبيعى لكل أمة تريد أن تعرف عدوها حتى تستطيع مواجهته، ولعل ما يؤكد هذا أن الإستطلاع فى الجيوش مثلاً هو من أهم الأسلحة التى تحقق النصر.

* * *

منذ أن انهارت الشيوعية والحديث لا ينقطع فى الغرب عن أن الإسلام

هو امبراطورية الشر الجديدة التى ينبغى للغرب القضاء عليها، والتى حلت محل امبراطورية الشر القديمة «الاتحاد السوفييتى والكتلة الشيوعية» بل ووصل الأمر إلى حد أن زعماء حلف الأطلنطى أعلنوا فى صراحة ضرورة الإبقاء على هذا الحلف لأن هناك هدفاً ما زال باقياً تجاه هذا الحلف وهو الإسلام والمسلمين الذين هم بالضرورة شريرون وإرهابيون وغير متحضرين. والتصريحات فى هذا الصدد متواترة بدءاً من المرأة الحديدية مارجريت تاتشر وانتهاءً بجورج بوش ومروراً بالفرنسيين والألمان.

وفى الحقيقة فإن العداء للإسلام ليس وليد هذه اللحظة، بل هو كامن فى الوجدان الأوروبى والأمريكى منذ زمن بعيد، وصحيح أن التناقض مع الكتلة الشيوعية قد أخفى هذا العداء لفترة من الوقت، إلا أن انتهاء وانهيار التحدى الشيوعى للغرب الرأسمالى جعل هذا العداء يقفز إلى السطح وبصورة استفزازية تحمل فى طياتها أجواء الحروب الصليبية، وعلينا بالتالى أن نتوقع معركة شرسة ومريرة مع الغرب الذى لن يتورع عن استخدام القوة العسكرية أو السياسية أو الهيئات الدولية أو استخدام المفكرين والكتاب ودوائر الإعلام المحلية العميلة فى زرع ثقافته ونمط تفكيره والقضاء على تميزنا الحضارى وقيمنا الأصيلة، وبكلمة واحدة فإن أمامنا معركة حضارية كبرى فإما أن تندثر حضارتنا أمامهم لا قدر الله وإما أن نخرج من المعركة منتصرين فتسود حضارتنا وبالتالى يستريح العالم وتستريح أمتنا، لأن الحضارة الغربية الأمريكية حضارة شريرة وستؤدى إلى كارثة عالمية وبيئية وإنسانية لا حد لها.

* * *

على أى حال، فإن كتاب نيكسون يحمل الكثير من المغالطات ويحمل الكثير من التبشير بالقيم الحضارية الغربية، فنيكسون يزعم أن أمريكا

تحمل للعالم رسالة تحريرية ودعوة للرخاء مع أن الواقع والتاريخ والجغرافيا يقولون جميعاً أن أمريكا أساساً قامت على إبادة شعب آخر هم الهنود الحمر وأن سجلها حافل بالجرائم والإعتداءات على الشعوب الأخرى وأنها ليست إلا امتداداً عضوياً للحضارة الغربية وهى حضارة تقوم على فكرة المنفعة اللاأخلاقية وهى أيضاً حضارة وثنية وإغريقية ذات مسحة مسيحية وأن سجلها حافل أيضاً بالجرائم فى حق الشعوب وحق البيئة وحق الوجود الإنسانى على الأرض بالكامل.

ونيكسون يزعم أن انهيار الشيوعية يعنى صلاحية الرأسمالية، مع أن الواقع والتحليل الموضوعى يقول أن انهيار الشيوعية لم يكن بسبب صلاحية الرأسمالية، بل كان بسبب الخلل النظرى والتطبيقى فى النظرية الشيوعية بل إن سقوط الشيوعية فى حد ذاته دليل على فساد الرأسمالية أيضاً وأنها بسبيلها إلى السقوط إن شاء الله.. لأن كلا من الشيوعية والرأسمالية إفراز لنفس الأرضية الثقافية ألا وهى الأرضية الثقافية للحضارة الغربية وما دام إفراز منها سقط فهذا دليل على فساد الأرضية نفسها أى فساد الحضارة الغربية بكل إفرازاتها ومن ضمنها الليبرالية الرأسمالية وعلى أى حال فإن الحضارة الغربية التى أفرزت حتى الآن الفاشية والنازية والشيوعية والصهيونية والرأسمالية، وإذا كانت الفاشية والنازية والشيوعية قد سقطوا جميعاً فإن الدور قادم إن شاء الله تعالى على الرأسمالية والصهيونية.

* * *

إننا لا نحلق فى الوهم أو الأحلام حين نقول أن المستقبل ليس لأمريكا بل للإسلام، وأن الإسلام هو النظام العالمى الجديد، وأن الحضارة الإسلامية هى المرشحة للسيادة فى العالم لأنها وحدها هى التى تحمل القيم الحضارية

الصحيحة نظرياً وتطبيقياً، وأن قيم الإسلام من العدل والحرية والمساواة واحترام حقوق الإنسان وإحترام التعددية الثقافية والحضارية وغيرها من قيم الإسلام الرفيعة هى قيم صادقة لأنها لا تنبع عن مصلحة بشرية قاصرة أو رؤية محدودة، بل هى قيم من عند الله تعالى الذى خلق الكون ويعلم ما يصلحه وما يفسده، وكذلك لأن الإسلام لم يقدم معايير مزدوجة مثل الحضارة الغربية المصابة بازدواج المعايير حتى النخاع فهى تبتلع لإسرائيل مثلاً أن تحتل الأرض، وتطرد السكان الأصليين، وتمارس أبشع أنواع القهر والتعذيب، وهى أيضاً تتجاهل إسقاط الطائرات مثل الطائرة المدنية الإيرانية فوق الخليج سنة ١٩٨٨ على يد سلاح البحرية الأمريكية وكذلك إسقاط إسرائيل للطائرة المدنية الليبية سنة ١٩٧٣ والتى كانت تحمل المذيعة المصرية سلوى حجازى وغيرها من الجرائم الإرهابية فى حين أنها تملأ الدنيا ضجيجاً حول اتهام بعض الليبيين بإسقاط طائرة أمريكية وأخرى فرنسية وتطالب بتسليمهم للعدالة الأمريكية أو الفرنسية أو الإنجليزية!!